ماهية الروح ..

للكاتب العراقى الاستاذ ابراهيم سليمان الكواز

لم يكن الدافع لمدارسة هذا البحث الذى قطعت فيه « الأسرة » خطوات تبشر بمستقبل عظيم قد يطغى على ما توصل اليه الغرب ، وما يحاول رجال هذا العلم فى أميركا من تجسيد للروح قد يتحقق وقد لا تلين شكيمتها اليه .. قلت لم يكن الدافع هو التعريف به الا لما لمسته لدى البعض من ازدراء له وهضم لحقه ، ذلك الحق الذى يترصدهم ان آجلا أو عاجلا فلن يجدوا أنفسهم الا وهم بين ظهرانيه .

كنت أدافع الرغبة الجامحة للكتابة حتى رضخت أخيرا للالحاح الشديد الذى رافقنى منذ الظهيرة حتى الساعة العاشرة ليلا ، فسارعت الى القلم الذى انطلق يجر الكلمة تلو الكلمة دون هدف معين واضح اللهم الا استجابة لذلك الالحاح غير المفهوم ، وقد يستغرب القارىء من لفظ «الالحاح» هذا ويرغب فى استطلاع كنه شخصية الملح ، فأرجو أن يتريث الامور وأن يتقبل ذلك على هذه العلة كما حدث لى ريثما يتمكن فى هذا المقال أو الثانى أو الثالث ، فلعله يرشد ذاتيا فينجلى الموقف ويستبين فلا يبق ثمة استغراب .

تضاربت أقوال رجال العلم الروحى وغيرهم فى ماهية الروح وأثرها أو تاثرها سواء منهم علماء أوربا وعلى الاخص الانجليز وعلى رأسهم (آرثر فنندلاى) ، وعلماء أميركا وعلى رأسهم (لمبروز) فى العصر الحديث . وهم فى ذلك يناقضون علماء الهند والصين القدامى منهم والمحدثين ، ولهم الحق فى هذا التضارب وذلك التباين الذى حدث نتيجة انفصامهم عن الاديان السماوية التى ما كانت ولن تكون الا روحية ، لذا نتركهم فى تيههم يعمهون ..

وقبل أن نوضح آراء علماء الاسلام بعد أن صرفنا النظر موقتا عن تبيان آراء اليهود والنصارى فى الروح ، نود أن نسجل تقديرنا لرجلين من رجال الفكر الاسلامى ، أولهما شيخ الاسلام أبو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ حيث وصف الروح وصفا دقيقا يضاهى ما توصل اليه العلم الروحى فى القرن الرابع عشر الهجرى ، أى بعد وفاته بتسعة قرون فهو يقول من قصيدة مطولة :

قل لاخوان رأونى ميتـــا فيكونى ورثوا لى حـــزنا
أنا فى الصور وهذا جسدى كان بيتى وقميصى زمنـا
أنا كنز وحجـــابى طلسم من تراب كان ضيقا وعنـا
أنا عصـفور وهـــذا قفصى طرت عنـــه وغدا مرتهنا
ما اى نفسى الا أنتـم واعتقـــادى انكم أنتم أنا
عنصر الأنفس منا واحـــدا وكذا الجسم جميعـا عمنا

ولا حاجة بنا الى التعليق لما جاء بهذه القصيدة الآن ، أما ثانيهما فهو الفيلسوف الكبير الشيخ محيى الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ والذى يقول : « فاعلم ان فى الخبز والمـــاء وجميع المطاعم والمشارب والمـــلابس والمواكب والمجالس والزهر والثمر أرواحا لطيفة غريبة فيهـــا استجابة مودعة لما يراد منها هى سر حياتها **(محيى الدين بن عربى - للأستاذ طه عبد الباقى سرور)** ولنضرب صفحا عن بقية رجالنـا السـابقين وآرائهم ومعتقداتهم فى الروح لضيق المجال ، ولا يفوتنا أن ننبه جمود أغلبهم فى معرفة كنه الروح من قوله تعالى : « **يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » ، لا شك ان الســائل فى وقته فهم الجواب ، لكن تأول من جاء بعدهم فى السؤال تحتم أن يجهلوا معنى الجواب . ولنقفز الى الأمام .. الى رجال هذا العلم المعاصرين ممن يدعون تحضـــير الأرواح كأحمد فهمى وغيره فانه مر بالآية هـــذه مر الكرام ولم يوضح نوعية السؤال ، يسألونك عن الروح ، ولم يرد منهم قصد السائل ، وأى روح سأل عنها ، ولذا انساق هو الآخر وراء التأويل المسطور قبل أربعة عشر قرنا . ولا لوم عليه ولا تثريب فهو يسير وراء علماء الغرب ومستشرقيه شبرا بشبر وذراعا بذراع ..

الكل يتصور ان السائلين أرادوا معرفة كنه الروح التى بالجسد ، لكن ذلك لم يخطر لهم ببال ، ولم يحاول أحدهم تلك المعرفة ، اذ ان العصبية القبلية والفطرة الجاهلية وتأخرهم بالبداوة مدة طويلة من الزمن وعيش الكفاف الذى ألفوه وكثرة الغزو لم تحبب لأحدهم حب النفس فهى عنـد الأغلبية منهم لا تساوى نقيرا الا الجبناء وهم قلة وقتذاك ، فلا يعقل أن تكون الروح هذه مدارا للسؤال هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فالله تعالى وقد حقر الشعب اليهودى وأذله لا يلتفت الى تســاؤلهم أو طلباتهم ، فالرقى فى السماء وانزال المائدة أو استخراج كنز لم يعرها الله تعالى أى التفاتة اذ كل أولئك تسير فى سبيل طبيعى مستقيم « **وانهـا لسبيل مقيم** » فالاسراء والمعراج لم يكونا تلبية لطلب مشركى قريش أو لأجل سواد عيونهم وهم

القوم الذين أراد الله نشلهم بأول رسول أرسل اليهم ، فأين يكون حثالات الناس من اليهود المذلولين ؟!

فالسائلون أعجبوا بما جاء به الرسول الأكرم وأخذوا لما سمعوا قوله تعالى « **بل نزل به الروح الأمين على قلبك** » .

فسألوا الرسول عن ذلك الروح الذى نزل به دون أن يسمعوه أو يشاهدوه لكنهم شاهدوا تعدد الاتصال الروحى من جانب واحد ، وما يلحق بالرسول عند نزول الروح ، وعلى هذا جاء السؤال . فأجابهم : الروح ، من أمر ربى ، ولئلا يلحفوا بالسؤال لتقصى ذاك الروح ومحل اقامته ومن أين يجىء والى أين يعود ، وما نوع معيشته وهيئته وحياته ، وكيف يراه الرسول الأكرم وحده ويغيب عن أنظارهم شخصه ، أتم تعالى قوله : « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » وهذا الجزء يدل على حصول العلم الانسانى وتقدمه مستقبلا وترقيه كى يعرف الشىء الكثير عن ذلك الروح الذى لم يكن الا جبرائيلا عليه السلام . وهو هو الروح القدس الذى كلم مريم وولدها المسيح وجاء موسى وغيرهم من الأنبياء والمرسلين فهو الرسول بين الخالق جلا وعلا وبين من يريد ارساله ويختاره من عباده .

وقوله من أمر ربى يعنى أن جبريلا هو من مخلوقات ربى الروحانية ، فلفظ أمر ليس معناه ضد النهى كما قد يتبادر الى الذهن وما سطرته بعض كتب التفسير أو أغفلت ايضاحه فظنته ضد النهى وجمد العقل البشرى على هذا الظن فلم يترق فالمراد بالأمر هو المخلوق الروحانى ، وجمعه أمور ، أى مخلوقات روحانية وهو يشمل الملائكة والشياطين وأرواح البشر والجن بعد انفصالها عن أجسادها بالموت . ومصداقا لذلك قوله تعالى : « **ينزل الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** » فقوله يعرج دلالة قاطعة على ان الأمر شىء عاقل وليس معناه ضد النهى كما أسلفنا اذ لا تعرج تلك .

ولو لم يكن قصد السائلين ذلك ، جبريلا ، لكان الجواب أكثر ابهاما من السؤال . وبوصولنا الى هذا التمهيد أمكن الانطلاق من هذا القيد وذللنا هذه العقبة الكأداء التى تعترض سبيل الروحيين والمتصوفة وأندادهم ، وبذلك أتيح لنا التكلم عن ماهية الروح بعد أن أمنا الخذلان الذى منى به الكثيرون ممن اصطدموا بهذه الصخرة ووقفوا حيارى أو ضلوا الطريق .

يتبع - بغداد

ابراهيم الكواز